الدرس الثاني: توجيه شيءٍ من القراءات الشّاذّة - من سورتي الفاتحة والبقرة -

هذا هو الدَّرسُ الثَّاني في توجيه القراءات الشاذة، ونخصصه لتوجيه شيءٍ من الشواذ في سورتي الفاتحة والبقرة، وهذا أوان الشروع في المطلوب، والله المستعانُ على تحصيل المرغوب:

من سورة الفاتحة

الموضع الأوَّل: قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:1].

- محلُّ الشاهد هو كلمة (الحمدُ).
- فقد قرأها الحسن وزيد بن علي وغيرهما: (الحمدِ لِلَّهِ) بكسر الدال[1].
- ووجهُه؛ أنه لغة لبعض العرب، كتميمٍ وبعض غطفان.

كما أنَّ في ذلك إتباعَ حركةِ الأول للثاني، ليكون بينهما تجانسٌ في الحركة، وَطَلَبُ التَّجَانُسِ فِي اللَّفْظِ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ، نَحْوَ: أَجُوءُكَ، وَهُوَ مُنْحَدُرٌ مِنَ الْجُبَلِ، بِضَمِّ الدَّالِ وَالْجِيمِ.

وإنما جاز الإتباعُ هنا في كلمتين مع أنه إنما يكون في كلمة واحدة؛ لتنزيل الكلمتين (الحمدُ للهِ) منزلة الكلمة الواحدة، نظرًا لكثرة استعمالهما مقترنتين[2].

وقل مثل ذلك في قراءة (الحمدُ لُلَّهِ) بضمِّ اللام. قال أبو الفتح رحمه الله (ت:392هـ): "قراءة أهل البادية: (الْحَمْدُ لُله) مضمومة الدال واللام، ورواها لي بعض أصحابنا قراءةً لإبراهيم بن أبي عبلة. و(الحمدِ لِله) مكسورتان، ورواها أيضًا لي قراءة لزيد بن علي ﵁ والحسن البصري رحمه لله.

وكلاهما شاذ في القياس والاستعمال؛ إلا أن مِن وراء ذلك ما أذكرُه لك؛ وهو أن هذا اللفظ كثر في كلامهم، وشاع استعماله، وهم لِمَا كثر من استعمالهم أشد تغييرًا، كما جاء عنهم لذلك: لم يَكُ، ولا أَدْرِ، ولم أُبَلْ، وأَيْشٍ تقول، وجا يجي، وسا يسو، بحذف همزتيهما.

---

[1] يُنظر: أحمد مختار وزميله، معجم القراءات القرآنية، ج1، ص5.

[2] يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص136. و: عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغات العرب، ص24.

فلما اطرد هذا ونحوه لكثرة استعماله؛ أَتبعوا أحد الصوتين الآخر، وشبهوهما بالجزء الواحد وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر؛ فصارت (الْحَمْدُ لُله) كعُنُق وطُنُب، و(الْحَمْدِ لِله) كإبِل وإطِل.

إلا أن (الْحَمْدُ لُله) بضم الحرفين، أسهل من (الْحَمْدِ لِله) بكسرهما من موضعين؛ أحدهما: أنه إذا كان إِتْبَاعًا؛ فإن أقيس الإِتْبَاع أن يكون الثاني تابعًا للأول؛ وذلك أنه جارٍ مجرى السبب والمسبَّب، وينبغي أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب [...] والآخر: أن ضمة الدال في (الحمدُ) إعراب، وكسرة اللام في (لِله) بناء، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء، فإذا قلت (الحمدُ لُله) فقريب أن يغلب الأقوى الأضعف، وإذا قلت: (الحمدِ لِله) جنى البناء الأضعف على الإعراب الأقوى"[1].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الفاتحة:1].

- محلُّ الشاهد هو كلمة (رَبِّ).
- فقد قرأها زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَطَائِفَةٌ: (رَبَّ الْعالَمِينَ) بِالنَّصْبِ[2].
- ووجهُه أنه منصوب على المدح؛ أي بإضمار فعلٍ: أمدحُ ربَّ العالمين، وقيل هو منصوبٌ بالفعل الذي دل عليه (الْحَمْدُ لِلَّهِ)، كأنه قيل: نحمد اللَّه ربَّ العالمين[3]. قال أبو حيان رحمه الله (ت:745هـ): "وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَطَائِفَةٌ: (رَبَّ الْعالَمِينَ) بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَدْحِ، وَهِيَ فَصِيحَةٌ لَوْلَا خَفْضُ الصِّفَاتِ بَعْدَهَا، وَضَعُفَتْ إِذْ ذَاكَ. عَلَى أَنَّ الْأَهْوَازِيَّ حَكَى فِي قِرَاءَةِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَرَأَ (رَبَّ الْعالَمِينَ، الرَّحْمنَ الرَّحِيمَ) بِنَصْبِ الثَّلَاثَةِ، فَلَا ضَعْفَ إِذْ ذَاكَ، وَإِنَّمَا تَضْعُفُ قِرَاءَةُ نَصْبِ (رَبَّ) وَخَفْضِ الصِّفَاتِ بَعْدَهَا؛ لِأَنَّهُمْ نَصُّوا أَنَّهُ لَا إِتْبَاعَ بَعْدَ الْقَطْعِ فِي النُّعُوتِ"[4].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[الفاتحة:3].

- محلُّ الشاهد هو كلمة (مالكِ).
- فقد قرأها المطوعي والأعمش وابن السميفع وأبو صالح السمان، وغيرهم (مالكَ)[5].

---

[1] ابن جني، المحتسب، ج1، ص37-38.

[2] يُنظر: أحمد مختار وزميله، معجم القراءات القرآنية، ج1، ص6.

[3] يُنظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، 10. و: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، 139.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، 34.

[5] يُنظر: مكي بن أبي طالب، الإبانة، ص120. و: أحمد مختار وزميله، معجم القراءات القرآنية، ج1، ص8.

– ووجهُه أنَّه على النداء والدعاء، حتى يتسق مع الخطاب في الآية بعده؛ فيكون التقدير: (يا مالكَ يوم الدين، إياكَ نعبُدُ وإياك نستعينُ). قال ابن جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): "وَأَمَّا تَأْوِيلِ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: (مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ) فَإِنَّهُ أَرَادَ: يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ، فَنَصَبَهُ بِنِيَّةِ النِّدَاءِ وَالدُّعَاءِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)[يوسف:29] بِتَأْوِيلِ: يَا يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا [...]، فَنَصَبَ (مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ)؛ لِيَكُونَ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)[الفاتحة:5] لَهُ خِطَابًا، كَأَنَّهُ أَرَادَ: (يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)"[1].

كما ذكر عبد الفتاح القاضي رحمه الله (ت:هـ) وجها آخر، وهو أن يكون منصوبًا على المدح، فيكون مفعولا لفعلٍ محذوفٍ، والتقدير: أمدحُ مالكَ يوم الدين، أو نحوه[2].

– وقد قرأ هذه الآية "يحيى بن يعمر والحسن بن أبي الحسن، وعلي بن أبي طالب (مَلَكَ يومَ الدِّينِ) على أنه فعلٌ ماضٍ"[3].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[الفاتحة:5].

– محلُّ الشاهد هو كلمتا (الصراط والمستقيم).

– فقد قرأها الحسن وزيد بن علي والضحاك ونصر بن علي(صراطًا مستقيمًا) بالتنكير والتنوين[4].

– ووجهُها على ما ذكر ابنُ جني رحمه الله (ت:392هـ): "ينبغي أن يكون أراد – والله أعلم –؛ التذللَ لله سبحانه، وإظهارَ الطاعة له؛ أي: قد رضينا منك يا ربنا بما يقال له: صراطٌ مستقيمٌ، ولسنا نريد المبالغة في قول من قرأ: (الصراط المستقيم) أي: الصراط الذي شاعت استقامته، وتَعَوْلَمَتْ في ذلك حاله وطريقته، فإن قليل هذا منك لنا زاكٍ عندنا، وكثير من نعمتك علينا، ونحن له مطيعون، وإلى ما تأمر به وتنهى فيه صائرون. وزاد في حسن التنكير هنا ما دخله من

[1] ابن جرير، جامع البيان، ج1، 150.

[2] يُنظر: عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة، ص24.

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص68.

[4] يُنظر: أحمد مختار وزميله، معجم القراءات القرآنية، ج1، ص12.

المعنى؛ وذلك أن تقديره: أَدِمْ هدايتك لنا؛ فإنك إذا فعلْتَ ذلك بنا؛ فقد هديتنا إلى صراط مستقيم"[1].

من سورة البقرة

الموضع الأوَّل: قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ**﴾[البقرة:61].

- محلُّ الشاهد هو كلمة (مصرًا).

- فقد قرأها ابن مسعود وأبي وابن عباس رضي الله عنهم، والحسن والأعمش وطلحة وأبان بن تغلب رحمهم الله (مِصْرَ) بالمنع من الصرف[2].

- ووجهُ هذه القراءاتِ؛ أن من صرَفَ فقرأها بالتنوين (مِصْرًا)؛ جعلها اسمَ جنسٍ، فهو مصرٌ من الأمصار لا على التعيين. ومن منعها من الصرف (مصرَ)؛ فعلى أنها اسم علمٍ على البلد المعروف بهذا الاسم. قال ابنُ جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): "فأما الذين نوَّنُوه وأجروه، فإنهم عَنَوْا به مصرًا من الأمصار، لا مصرًا بعينه. فتأويله – على قراءتهم –: اهبطوا مصرا من الأمصار، لأنكم في البدو، والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي، وإنما يكون في القرى والأمصار، فإن لكم – إذا هبطتموه – ما سألتم من العيش [...]

وأما الذي لم يُنَوِّن (مصرَ) فإنه لا شك أنه عنى (مصرَ) التي تُعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها"[3].

وقال القرطبيُّ رحمه الله (ت:671هـ): "قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: فَمَنْ صَرَفَهَا أَرَادَ مِصْرًا مِنَ الْأَمْصَارِ غَيْرَ مُعَيَّنٍ [...] وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَأَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ وَطَلْحَةُ: (مِصْرَ) بِتَرْكِ الصَّرْفِ، وَكَذَلِكَ هِيَ فِي

---

[1] ابن جني، المحتسب، ج1، ص41.

[2] يُنظر: أحمد مختار وزميله، معجم القراءات القرآنية، ج1، ص64.

[3] ابن جرير، جامع البيان، ج2، ص132-133.

مُصْحَفِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَقَالُوا: هِيَ مِصْرُ فِرْعَوْنَ. قَالَ أَشْهَبُ: قَالَ لِي مَالِكٌ: هِيَ عِنْدِي مِصْرُ قَرْيَتُكَ مَسْكَنُ فِرْعَوْنَ"[1].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**﴾[البقرة:1].

- محلُّ الشاهد هو كلمة (غُلْفٌ).
- فقد قرأها ابن عباس وأبو عمرو وابن محيصن والأعرج وابن هرمز (غُلُفٌ) بضمِّ اللام[2].
- ووجهُ الفرق بينها وبين المتواتر – على ما ذكر ابنُ جريرٍ رحمه الله –؛ أنها في المتواتر بسكون اللام (غُلْفٌ) جمع (أغلف)؛ أي الشيء الذي في غلاف، كما يقال للسيف إذا كان في غلافه: سيف أغلف وقوس غلفاء، وجمعها غُلْف، وكذلك جمع ما كان من النعوت ذكره على (أفعل) وأنثاه على (فعلاء)، يجمع على (فُعْل) مضمومة الأول ساكنة الثاني، مثل: أحمر وحمر، وأصفر وصفر. والمعنى على ذلك أنهم قالوا: قلوبنا في أكنة وأغطية وغلْف[3].

وأما الذين قرأوها (غُلُفٌ) بتحريك اللام بالضمة؛ فإنهم تأولوها أنهم قالوا: قلوبنا غلف للعلم، بمعنى أنها أوعية. و(الغُلُف) على هذا التفسير جمع (غلاف). كما يجمع الكتاب على كُتُب، والحجاب على حُجُب، والشهاب على شُهُب. فمعنى الكلام على تأويل قراءة من قرأ (غلُف) بضم اللام، وقالت اليهود: قلوبنا غلُف للعلم، وأوعية له ولغيره. ويؤيدها ما يُؤثَرُ عن ابن عباس ﷺ في قوله ﷻ: (وقالوا قلوبنا غلف) ، قال: مملوءة علما؛ لا تحتاج إلى محمد ﷺ ولا غيره[4].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[البقرة:104].

- محلُّ الشاهد هو كلمة (رَاعِنَا).

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص429.

[2] يُنظر: أحمد مختار وزميله، معجم القراءات القرآنية، ج1، ص85.

[3] يُنظر: ابن جرير، جامع البيان، ج2، ص324.

[4] يُنظر: المصدر نفسه، ج2، ص327.

– فقد قرأها الحسن وابن محيصن ومجاهد وأبو حيوة وابن أبي ليلى (رَاعِنًا) بالتنوين[1].

– وهي في المتواتر (رَاعِنَا) فعلُ أمرٍ من (المراعاة)، "فَتَكُونُ مِنْ رَعَاكَ اللَّهُ، أَيِ احْفَظْنَا وَلْنَحْفَظْكَ، وَارْقُبْنَا وَلْنَرْقُبْكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَرْعِنَا سَمْعَكَ، أَيْ فَرِّغْ سَمْعَكَ لِكَلَامِنَا. وَفِي الْمُخَاطَبَةِ بِهَذَا جَفَاءٌ، فَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَخَيَّرُوا مِنَ الْأَلْفَاظِ أَحْسَنَهَا وَمِنَ الْمَعَانِي أَرَقَّهَا"[2].

وأمَّا في الشَّاذِّ؛ فإنها (رَاعِنًا) اسمٌ منوَّنٌ بالفتح، من (الرعونة) وهي الحمق والجهل، والمعنى: لا تقولوا رعونة وهُجرًا من القول كما يقوله غيركم[3]. هذا من جهة المعنى، وأمَّا من جهة الحكم النحويِّ؛ فإنَّ نَصْبَهَا إمَّا على أنها مفعول للفعل (تقولوا)، قال ابن جرير رحمه الله: "ومن نَوَّن (راعنًا)؛ نوَّنَه بقوله: (لا تقولوا)، لأنه حينئذ عامل فيه"[4]. أو أنها صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ، والتقدير: لا تقولوا قولاً راعنًا[5].

---

[1] يُنظر: أحمد مختار وزميله، معجم القراءات القرآنية، ج1، ص97.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص57. وقد ذكر القرطبيُّ ثَمَّ سببًا لنزول الآية يزيد في توضيح المعنى، وهو ما " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵁: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: رَاعِنَا. عَلَى جِهَةِ الطَّلَبِ وَالرَّغْبَةِ – مِنَ الْمُرَاعَاةِ– أَيِ الْتَفِتْ إِلَيْنَا، وَكَانَ هَذَا بِلِسَانِ الْيَهُودِ سَبًّا، أَيِ اسْمَعْ لَا سَمِعْتَ، فَاغْتَنَمُوهَا وَقَالُوا: كُنَّا نَسُبُّهُ سِرًّا فَالْآنَ نَسُبُّهُ جَهْرًا، فَكَانُوا يُخَاطِبُونَ بِهَا النَّبِيَّ ﷺ وَيَضْحَكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَسَمِعَهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَكَانَ يَعْرِفُ لُغَتَهُمْ، فَقَالَ لِلْيَهُودِ: عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ! لَئِنْ سَمِعْتُهَا مِنْ رَجُلٍ مِنْكُمْ يَقُولُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، فَقَالُوا: أَوَلَسْتُمْ تَقُولُونَهَا؟ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ، وَنُهُوا عَنْهَا لِئَلَّا تَقْتَدِي بِهَا الْيَهُودُ فِي اللَّفْظِ، وَتَقْصِدُ الْمَعْنَى الْفَاسِدَ فِيهِ".

[3] يُنظر: عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة، ص32.

[4] ابن جرير، جامع البيان، ج2، ص466.

[5] يُنظر: الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص189.